نموذج من كتاب الخصائص، الجزء الثاني

باب القول على الإعراب:

هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ ألا ترى أنك إذا سمعت أكرم سعيد أباه وشكر سعيدًا أبوه علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول ولو كان الكلام شرجًا[1] واحدًا لاستبهم أحدهما من صاحبه.

فإن قلت: فقد تقول ضرب يحيى بشرى فلا تجد هناك إعرابًا فاصلًا وكذلك نحوه قيل: إذا اتفق ما هذه سبيله مما يخفى في اللفظ حاله ألزم الكلام من تقديم الفاعل وتأخير المفعول ما يقوم مقام بيان الإعراب. فإن كانت هناك دلالة أخرى من قبل المعنى وقع التصرف فيه بالتقديم والتأخير نحو أكل يحيى كمثرى: لك أن تقدم وأن تؤخر كيف شئت وكذلك ضربت هذا هذه وكلم هذه هذا وكذلك إن وضح الغرض بالتثنية أو الجمع جاز لك التصرف نحو قولك أكرم اليحييان البشريين وضرب البشريين اليحيون[2]. وكذلك لو أومأت إلى رجل وفرس فقلت[3]: كلّم هذا هذا، فلم يجبه لجعلت الفاعل والمفعول أيّهما شئت لأنّ في الحال بيانًا لما تعني. وكذلك قولك ولدت هذه هذه من حيث كانت حال الأمّ من البنت معروفة غير منكورة. وكذلك إن ألحقت الكلام ضربًا من الاتباع جاز لك التصرف لما تعقب[4] من البيان نحو ضرب يحيى نفسه بشرى أو كلم بشرى العاقل معلى أو كلم هذا وزيدًا يحيى. ومن أجاز قام وزيد عمرو لم يجز ذلك في نحو "كلم هذا وزيد يحيى " وهو يريد كلم هذا يحيى وزيد كما يجيز "ضرب زيدًا وعمرو جعفر ".

فهذا طرف من القول[5] أدى إليه ذكر الإعراب.

وأما لفظه فإنّه مصدر أعربت عن الشيء إذا أوضحت عنه؛ وفلان معرب عما في نفسه أي: مبين له، وموضح عنه؛ ومنه عربت الفرس تعريبًا إذا بزغته، وذلك أن تنسف أسفل حافره، ومعناه أنه قد بان بذلك ما كان خفيًا من أمره لظهوره إلى مرآة العين بعد ما كان مستورًا وبذلك تعرف حاله: أصلب هو أم رخو؟ و"أصحيح"[6] هو أم سقيم وغير ذلك.

---

[1] - أي نوعًا، وفي ج: "شرعًا"، يقال: هما في هذا الأمر شرع واحد أي سواء. وقد أثبت "شرجا" بالجيم وفقا لما في د، هـ. وفي بقية الأصول: "شرحا".

[2] - في الأصول: "البشرين". والصواب ما أثبته.

[3] - كذا في ج. وفي سائر الأصول: "قلت.

[4] - كذا في أ. وفي ش، ب: "يعقب".

[5] - في المطبوعة تبعا لما في ش وب: "من القرآن الذي أدى إليه ذكر الإعرب" وقد سقطنا "الذي" إذ لا وجه لها في هذا التركيب.

[6] - كذا في الأصول بتقديم العاطف على أداة الاستفهام والاستفهام له الصدر، والاستعمال الصحيح: "أو صحيح".

وأصل هذا كله قولهم "العرب "وذلك لما يعزى إليها[7] من الفصاحة، والإعراب والبيان. ومنه قوله[8] في الحديث "الثيب تُعرِب عن نفسها" والمعرب: صاحب الخيل العراب وعليه قول الشاعر:

يصهل في مثل جوف الطوى ... صهيلًا يبين للمعرب[9]

أي إذا سمع صاحب الخيل العراب صوته علم أنه عربي. ومنه عندي عروبة والعروبة للجمعة[10]1 وذلك أن يوم الجمعة أظهر أمرًا من بقية أيام الأسبوع لما فيه من التأهب لها والتوجه إليها وقوة الإشعار بها؛ قال:

بوائم رهطًا للعروبة صيمًا[11]2

ولما كانت معاني المسمين مختلفة كان الإعراب الدال عليها مختلفًا أيضًا وكأنه من قولهم: عربت معدته أي فسدت كأنها استحالت من حال إلى حال كاستحالة الإعراب من صورة إلى صورة. وفي هذا كاف بإذن الله.

---

[7] - تبعت في هذا ما في ج، والضمير في "إليها" يرجع إلى العرب وفي المطبوعة، أ، ب: "إليه"، وكأن المراد: إلى الإعراب. وفي ابن يعيش على المفصل 72/ 1: "إليهم" وهي ظاهرة.

[8] - في المطبوعة، أ، ب. "قولهم"، ولا وجه له. وفي اللسان أنه يروي عن الرسول عليه الصلاة والسلام. وفي ج: "ومنه الحديث: الثيب ... " والحديث في مسند أحمد وابن ماجه. انظر الجامع الصغير.

[9] - "في مثل جوف الطوى" -ويروى الركي؛ وكلاهما البئر- يصف سمة جوفه، كأن جوفه بئر، أو أنه يصف شدة صهيله لأن الصوت يبين في البئر، ويذكر أنه مجفر: عظيم الجنبين، "يبين" كذا في ش، أ، واللسان في "عرب" والمخصص ص177 ج6. وفي المطبوعة وب "تبين". وهذا من قصيدة للنابغة الجعدي ذكرت في كتاب الخبل لأبي عبيدة. وانظر سمط اللآلي 414/ 1 والكامل 168/ 6

[10] - يريد أن عروبة -ممنوعة الصرف- والعروبة معناهما الجمعة. وعبارة اللسان: وعروبة والعروبة كلتاهما الجمعة. وقد تبعت في هذا الرسم أ، وفي المطبوعة وب: "الجمعة". والجمعة بيان لهما.

[11] - صدره كما في شرح المفصل 93/ 10: فبات عذوبا للسماء كأنما

وقوله: عذوبا أي لم يذق شيئًا، وقوله للسماء أي باد للسماء ليس بينه وبينها ستر. وقوله: يوائم أي يوافق ويفعل ما يفعلون، وصيما: قياما: يريد قوما يصلون الجمعة. وهذا في وصف بعير ظل قائما لا يضع رأسه للرعي. وانظر خلق الإبل للأصمعي في مجموعة الكنز اللغوي 132.